



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

المولوية والتصوف

التاريخ - النصوص - الآفاق

الكتاب 120 ديسمبر (كانون الأول) 2016

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

تأثيرات الرومي الثقافية في علماء الهند وأدبائها حديثاً

صاحب عالم الأعظمي الندوي^(*)

يتضح تأثير مولانا جلال الدين الرومي ومثنوياته بشكل جلي في أعمال الشعراء الصوفية في السند والبنجاب في عصر الدولة المغولية، لا سيما في أشعار الشاعر الصوفي شاه عبداللطيف (المتوفى 1166هـ/1752)، ومن هنا، يرى الفيلسوف الإيراني سيد حسين نصر، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة جورج واشنطن، أن شاه عبداللطيف انبثق مباشرة من روحانية الرومي في جنوب آسيا⁽¹⁾، وذلك بعد دراسة مقارنة بين مثنويات كل واحد منهما.

(*) باحث وأكاديمي هندي، حاصل على درجة الدكتوراه من قسم التاريخ والحضارة الإسلامية من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

(1) Nasr, Seyyed Hossein, «Rūmī and the Sufi Tradition». Studies in Comparative Religion, World Wisdom, 1974, Inc. 8 (2).

وفي الواقع لقد تركت أشعار الصوفي مولانا جلال الدين الرومي ومؤلفاته الفكرية تأثيراً بالغاً في الصوفية والمفكرين والأدباء الهنود، وهذا لم يحدث في شخصيات صوفية في العصور الإسلامية الهندية فحسب؛ بل تأثرت في أعماله وأفكاره شخصيات فكرية من المسلمين والهندوس على السواء في عهد الاستعمار البريطاني وحتى في العصر الحديث. وقام كثير من العلماء والأدباء من المسلمين والهندوس بإعداد أعمالهم عن شخصية مولانا جلال الدين الرومي، وترجموا مثنوياته إلى اللغات الهندية لا سيما إلى الأردية، والسندية، والبنجابية، والبنغالية... إلخ. ولقيت أفكار مثنوياته صدى واسعاً جداً في جميع أنحاء الهند.

يعتبر المفكر الهندوسي راجا رام موهن راي (المتوفى 1249هـ/1833) الذي أسس الطريقة الصوفية الهندوسية في منطقة بنغال، وكان يعرف اللغات العربية، والفارسية، والبنغالية، والسنسكريتية، ودون كتابه «تحفة الموحدين» باللغة الفارسية، وشرح فيه مثنويات جلال الدين الرومي. وقد تأثر راجا رام موهن راي بأفكار الرومي تأثيراً بالغاً، وتفرغ لدراسة الديانة الهندوسية والإسلامية وأفكارها وأعلامها الصوفية دراسة مقارنة⁽²⁾.

ومن الشخصيات المشهورة التي تأثرت بأفكار الرومي الشاعر البنغالي رابندر نات طاغور (المتوفى 1360هـ/1941)، وقد سبق وأن تأثر جده الأمير دواركاناته تهاكر (المتوفى 1263هـ/1846)، ووالده مها رشي ديوندر نات تهاكر (المتوفى 1323هـ/1905م)، وكان يطلق عليه «المولوي الكبير»، وكان يبدأ أعماله الصباحية بقرأة مثنويات الرومي وكتب الصوفية الآخرين. وهناك تأثير كبير لمثنويات الرومي في قصائد ابنه رابندر نات طاغور وأعماله المنظومة والمنثورة⁽³⁾.

أما الشخصيات الإسلامية الهندية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، فعددهم كبير، ومن أهمهم شاعر المشرق محمد إقبال، والشيخ أمجد

(2) Mohd. Hafeezur Rahman, Literary and Cultural Impact of Rumi on IndoTurkish Scholars with Special Reference to Ibrahim Hakki and Mohammad Iqbal, PhD thesis submitted to Jawaharlal Nehru University, 2009, p.66

(3) Ibid, pp. 67-69.

حيدر آبادي، ومولانا أبو الكلام آزاد، والعلامة شبلي النعماني وغيرهم. وثمة العلماء والأدباء الذين أعدوا رسائلهم العلمية في الجامعات الهندية باللغات الإنجليزية والأردية، وكتبوا بالتفصيل عن الرومي وفلسفته في الدين والحياة، وشرحوا مثنوياته وقصائده في أعمالهم.

ولم يكتف علماء الهند وأدباؤها بتدوين أعمالهم عنه فحسب، بل قاموا بتأسيس المؤسسات العلمية والأكاديمية باسم جلال الدين الرومي، والتي تسهم في إصدار كتب ومجلات شهرية خاصة لترويج أفكار الرومي، ومنها «مؤسسة الرومي» في دهلي التي أصدرت أول مجلة لها بمناسبة احتفالية الذكرى بمرور (800) عام على ميلاد الرومي بعنوان «الطريقة الصوفية» باللغة الإنجليزية، وذلك عام 1428هـ/2007م.

في الواقع ومما لا ريب فيه أن الهند أرض الفكر والفلسفة والشعر والفن والموسيقى والحب والتسامح، ومن هنا كيف يمكن لمثل هذا البلد ألا يتأثر هو وشخصياته العلمية والفكرية والأدبية في أفكار الرومي وقصائده ومثنوياته. وفي الحقيقة ستكون شخصية الرومي محبوبة ومرغوبة لدى الشعراء والأدباء والصوفية الهنود إلى الأبد.

والإشكالية التي يريد الباحث طرحها للبحث والمناقشة في هذا البحث، تكمن في البحث عن القنوات التي أسهمت في نقل مباشر أو غير مباشر لأفكار الصوفي الرومي إلى الهند، مع دراسة أعمال بعض الصوفية في العصور الإسلامية ومقارنتها مع أعمال الرومي. وكذلك سوف يحاول الباحث دراسة مقارنة لأعمال الرومي مع أعمال المفكرين والأدباء الهندوس والمسلمين في عصر الاستعمار البريطاني إلى أن استقلت الهند.

هذا، وسيضمن البحث تأثيرات الرومي الأدبية والفكرية في الأدباء والشعراء الهنود في عصر الاستعمار البريطاني.

تأثيرات الرومي الأدبية والفكرية في عصر الاستعمار البريطاني وصاعداً

لقد دفع سقوط الدولة المغولية إثر الثورة العامة عام 1274هـ/1857 مسلمي الهند إلى الحفاظ على التراث الإسلامي المكتوب باللغة الفارسية والأردية والعربية كذلك؛ وذلك من خلال تأسيس المدارس الإسلامية والخانقاوات والربط، وإنشاء المطابع لنشر الأعمال الأدبية والشعرية والتاريخية وفي مجال العلوم الإسلامية، بهدف تثقيف الشعب الهندي المسلم وغير المسلم بالعلوم الإسلامية والإمام بالثقافة الإسلامية. فقد قام الكثير من العلماء والأدباء والشعراء بتسطير كتب التراجم عن السيرة النبوية وسير الصحابة والتابعين والعلماء والفضلاء والصوفية الكبار، والشخصيات البارزة والمرموقة التي تركت بصمة خاصة في التراث الإسلامي والثقافة الإسلامية. فقد كان لكتابات علماء الهند إبان تلك الفترة فضل كبير في إعادة الثقة إلى الطبقة العامة والمتقنة بالثقافة الإسلامية وبالعقائد والمقررات الدينية وبالحضارة الإسلامية، وبتاريخهم الزاهر، وبلغتهم وآدابهم، مما أدى إلى إحياء الاعتداد بالنفس والثقة بالذات إلى حد كبير، وكان ذلك ضرورياً لإزالة «مركب النقص» الذي أحدثته الهزيمة في الصراع السياسي والعسكري مع الاستعمار البريطاني، ولكن يؤخذ على علماء الهند لتلك الفترة أنهم بدلاً من الانصراف عن التنظيمات السياسية أو الأعمال العسكرية مثل الجهاد ضد الاستعمار إلى تثقيف أنفسهم بتحصيل أنواع العلوم والمعارف وخصوصاً العصرية منها، تبنا سياسة عدم التعاون مع السلطة البريطانية، وهو الأمر الذي أدى إلى غيابهم عن الساحة الثقافية العصرية، واستغل الهندوس فرص غيابهم في الفضاء العلمي والمعرفي والإداري، وصاروا من الكوادر المهمة التي اعتمدت عليها السلطات البريطانية في إدارة شؤون البلاد واستكمال عملية التحول الاستعماري بصورة تدريجية. ولم يفكر هؤلاء العلماء في تدارك أمرهم، على الرغم من أن الكثير من العلماء مثل السيد أحمد خان (المتوفى 1315هـ/1898م) حثهم على ذلك، كونه ملماً بما كان يمر بالشعب المسلم من الظروف الصعبة، حيث إنه قد تفتش في المسلمين الفقر والجهل والبؤس والشقاء، والتدني الفاجع في منظومة القيم والتربية، وغياب استراتيجية واضحة لبناء شخصية المسلمين الدينية والثقافية والسياسية. وعلل ذلك ببعدهم

عن التعليم العصري، والتربية الحديثة التي سبقهم فيها غيرهم من مواطنيهم من الهندوس، مما مكّنهم من احتكار مختلف المراكز القيادية المهمة التي أبعد عنها المسلمون لجهلهم.

وانطلاقاً من رؤية الحفاظ على التراث الإسلامي ونشره، قام العلماء والأدباء والشعراء بتبني مشروع الكتابة عن الشخصيات الإسلامية الباهرة والمرموقة، ونشر أعمالهم في مجال العلوم الإسلامية والأدب والشعر، وما إلى ذلك من المجالات المهمة. وفي تلك الفترة وصاعداً ارتفعت الشعبية لمتنوي مولانا الرومي بين الطبقة المثقفة من المسلمين والهندوس على السواء. وبما أن الرومي دون مثوياته وأشعاره الإنسانية الأخرى خلال فترة من الاضطرابات السياسية والعسكرية، ومن هنا فإن أعمال الرومي أثارت الكثير من الاهتمام والاستجابة عند الشعب الهندي في ظروف مشابهة - إلى حد ما - في شبه القارة الهندية.

إن الشعور العام بالهزيمة والإحباط، وتدهور الوضع الديني والاجتماعي، وانعدام الأمن والسلام، ربما دفع المسلمين -آنذاك- إلى السعي إلى البحث عن العزاء في القرآن الكريم وتفاسيره باللغات الفارسية والأردية والكتب التراثية في مجال التصوف، لا سيما متنوي جلال الدين الرومي، ولكن يرى بعض الباحثين أن كل ما كتب عنه أو عن مثوياته كانت مكونة من شظايا وبشكل جزئي، بحيث لا نرى أن أي واحد من الذين حاولوا التعامل مع المتنوي ومع أفكار الرومي نجحوا حقاً في التقاط منظور الرومي الإسلامي، وتوظيفه كقوة ثورية لتحقيق الغاية المرجوة. ولدينا نماذج عديدة من الأعمال التي كتبت -آنذاك- حيث معظمها اقتصر على شرح الكلمات الصعبة والآيات الغامضة، والبعض الآخر ركز بشكل رئيس على تفسير المعاني الباطنية الموجودة في أشعار الرومي، وبالتالي حجبت الأغراض والمقاصد الأساسية لأشعاره ومثوياته، في حين حاول البعض منهم صقل البلاغة عن الجمال والتميز الفني لأبيات المتنوي، بحيث إنهم نسوا أنه لم يكتب هذه المتنويات وتلك الأشعار والقصائد من أجل الشعر والأدب فحسب. أما أولئك الذين تعاملوا مع متنويات الرومي من أجل الوصول إلى الأفكار الفلسفية وفهمها وتفسيرها، فحاولوا دفن أفكاره الأساسية المتعلقة بالمسائل الإنسانية والإلهية والأخلاقية، بحيث

إن جميعهم -تقريباً- قاموا بتحليل أفكاره من وجهة نظر وحدة الوجود والشهود فحسب. ويمكن إدراج أسماء بعض هؤلاء الكتاب البارزين في تلك الفترة التاريخية. منهم على سبيل المثال: محمد عابد، وشاه أفضال إله آبادي، والسيد شكر الله خان، والخواجه أيوب پارسا لاهوري، وولي محمد أكبر آبادي، وبهلول بكري، وعبدالفتاح، وخليفة كسوري، ومولوي محمد رضا وغيرهم⁽⁴⁾.

يعد الشيخ الحاج إمداد الله المهاجر المكي (المتوفى 1317هـ/1899) من الشخصيات النابهة والناضبة بالحياة والحيوية في تلك الفترة التاريخية⁽⁵⁾. لقد أدت اهتماماته بمتنويات الرومي والاشتغال الدائم بها إلى استخراج المعاني الأسمى والتفاسير الجديدة، مما خلق الاهتمام الشعبي الذي لم يسبق له مثيل بمولانا وأعماله الشعرية في شبه القارة الهندية. كان الناس يشدون رحالهم إلى بلده تهانه بهون لاستماع محاضراته وخطبه البليغة، التي كان يفسر فيها معاني المثنوي ودقائقها التي يقدمها بشكل بسيط ومباشر وفعال. وكان دائماً يسعى إلى خلق التوازن بين أولئك الذين يفضلون الشريعة على الطريقة والعكس بالعكس. وكان يقترح عدم تجاهل أهمية كل من الشريعة والطريقة، من أجل تطوير الشخصية المتكاملة، وللوصول إلى الغايات الأسمى. وقد جمع شروحاته للمثنوي بعنوان «شرح مثنوي مولانا جلال الدين الرومي أو حاشية مثنوي مولانا الرومي» والذي ربما كان أول محاولة من نوعها في تلك الفترة لتقديم تفسير ناشط لأعمال جلال الدين الرومي⁽⁶⁾.

(4) Afzal Iqbal, The impact of Mowlana Jalaluddin Rumi on Islamic Culture, RCD Cultural Institute, Tehran 1974, pp.83-84.

(5) الشيخ العارف الكبير إمداد الله بن محمد أمين العمري التهانوي المهاجر المكي، كان من الأولياء السالكين العارفين، اتقنت الألسن على الثناء عليه والتعظيم له. ولد عام 1233هـ بنانوته، قرية من أعمال سهارنبور، وأخذ العلم عن العلماء الكبار. وقرأ المثنوي المعنوي على مولانا قلندر بخش، ثم سافر إلى دهلي ولازم بعض الشيوخ والعلماء الكبار مثل الشيخ نصير الدين الشافعي وأخذ عنه الطريقة الجشيتية، ثم رجع إلى بلده وتصدر للإرشاد والتلقين بأمر شيخه... كان رجلاً ودوداً، بشوشاً، قليل المنام، مقلداً من الطعام، قد أضناه الحب الإلهي، وأنحفته المجاهدات والرياضات، ربح الأناة، واسع القلب، جامعاً للأشتات، يلتقي على حبه والإادة منه المختلفون في الأدواق والمشارب، متسامحاً مع الناس، متوسعاً في المسائل الجزئية والمذاهب الخلافية لا يتعصب فيها ولا يتشدد، مولعاً بالمثنوي المعنوي، دائم الاشتغال به تأملاً وتدريساً وتدوفاً وتلقيناً، ينصح أصحابه بقراءته والتأمل فيه، له مصنفات لطيفة كلها في الحب الإلهي والمعرفة والتصوف، منها «مثنوي تحفة العشاق»، و«ضياء القلوب»، و«إرشاد مرشد»، و«كلزار معرفة»، و«تحفة العشاق»، و«جهاد أكبر»، و«غذاء روح»، و«درد نامه غمناك» وغيرها. راجع: عبدالحق، الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الجزء الثالث، دار ابن حزم، بيروت، ص 1194-1195، علماً بأن معظم هذه الكتب عبارة عن الأشعار والمثنويات والقصائد، وطبعت أعماله الشعرية الخاصة بالسلوك والتركية بعنوان: «كليات إمدادية» من دار الإشاعت بكراتشي، باكستان دون تاريخ.

(6) Sherali Tareen, Haji Imdadullah's Hermeneutics of Reconciliation, Franklin & Marshall College

وبما أنه شارك في الثورة ضد الاستعمار البريطاني كأمر لجماعة سهارنپور، والتي انهزمت أمام بطش الإنجليز، فاضطر إلى الهجرة إلى مكة، واستقر فيها، وواصل عمله الديني والتربوي بواسطة إقامة الاجتماعات والمجالس العلمية، وتمكن من تجديد الطريقة الجشتية الصابرية في مكة، والتي دخل في سلكها كبار العلماء من الهنود والعرب، ومن أجلمهم الشيخ قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنگهوي، ومولانا يعقوب والمولوي أحمد أحسن والمولوي محمد حسين المدني، والمولوي أشرف علي التهانوي، علماً بأن جميع هؤلاء العلماء أسهموا في تأسيس مدرسة دار العلوم بديوبند، وفي نشر العلوم الإسلامية في جميع أنحاء شبه القارة الهندية، وكان لديهم اهتمام شديد بمتنوي مولانا الرومي⁽⁷⁾.

مولانا عبدالعلي الملقب بـ«بحر العلوم» وملك العلماء» فرنكي محل

(المتوفى 1225هـ/1819) من كبار العلماء الراسخين في الهند البريطانية، تلقى العلوم الإسلامية من كبار العلماء في بلده وفي كهنؤ. وجمع العلم والعمل والزهد والتواضع وحسن السلوك. درس وأفاد طوال عمره في كهنؤ. كتب عنه الشيخ عبدالحي الحسني قائلاً: «كان بحرًا زاخرًا من بحور العلم، إمامًا جوالاً في المنطق والحكمة والأصول والكلام، مجتهداً في الفروع، ماهراً في التصوف والفقهاء والحديث». ترك مصنفاً كثيرة في العلوم الإسلامية، ومن ضمن أعماله المهمة «شرح المتنوي المعنوي»⁽⁸⁾.

وكما تناولت في السطور السابقة أن علماء الهند شمروا عن ساعدهم للكتابة عن سير الرموز الإسلامية وتراجمهم. ومن أشهر علماء الهند -آنذاك- السيد أحمد خان (المتوفى 1315هـ/1898)، الذي نهض للرد على المستشرق وليم ميور الذي كتب عن السيرة المحمدية بعنوان (Life of Mohamet) أي حياة محمد، وكان فيه تحامل على السيرة النبوية ومسح لبعض الحقائق، ولم يتمالك السيد أحمد خان الذي كان من أكبر الدعاة إلى التعليم الحديث الغربي، وكانت بينه

Lancaster, Pennsylvania.

(7) Afzal Iqbal, Op. cit., p. 85.

(8) راجع: عبدالحي، الإعلام، ج3، ص1021-1023.

وبين الحكم الإنجليزي ورجاله صداقة حميمة وثقة متبادلة، فسافر إلى لندن عام 1286هـ/1869م لجمع المواد العلمية، وباع لذلك بعض أثاثه ومتاعه، وألف كتابه المشهور «خطبات أحمدية» الذي هو من أحسن كتبه، ولعلها كانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه في العالم الإسلامي⁽⁹⁾.

أما **شبلي النعماني** (1274-1333هـ/1857-1914) فكان من أوائل العلماء في الهند الذين انتبهوا إلى دسائس المستشرقين الحاقدين على الإسلام والناقمين على النبي (عليه الصلاة والسلام). وقد تمكن شبلي النعماني من تكوين جبهة قوية للرد على الأعمال الاستشراقية، ذلك بعدما قام بنشر سلسلة مشاهير الإسلام؛ بحيث اعتبر أفضل وسيلة للرد على أباطيل المستشرقين حول الشخصيات الإسلامية والثقافة الإسلامية، فأخرج منها: المأمون (1305هـ/1887)، والنعمان أي سيرة الإمام أبي حنيفة (1309هـ/1891)، والفاروق أي سيرة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (1316هـ/1898)، والغزالي (1319هـ/1901)، وسوانح مولانا روم (1320هـ/1902)، وسيرة النبي (1329هـ/1911)⁽¹⁰⁾.

كتب شبلي النعماني سوانح مولانا جلال الدين الرومي في السنوات الأولى من القرن العشرين، ويعد هذا الكتاب أول دراسة دقيقة وشاملة باللغة الأوردية عن مولانا في القرن العشرين الميلادي. وترجع الأهمية لهذا الكتاب لأنه دون باللغة الأوردية وبشكل دقيق وواضح وبشكل مباشر. ويحمل هذا الكتاب في طياته رسالة المثوي لجمهور أكبر بكثير من الشروحات التي كتبت باللغة الفارسية، والتي كانت تستوعب طبقة معينة من المثقفين والعلماء. ويرى بعض الباحثين أن العلامة شبلي قد أدرك أن معظم العلماء والأدباء والشعراء في الهند حاولوا في أعمالهم تفسير معاني المثوي في قالب أفلاطوني غير عملي، وكذلك حاولوا فهمه في إطار النفوذ الطاغوي لأفكار ابن عربي، مما أدى إلى إضرار بالغ لروح المثوي الرومي. ومن هنا قرر شبلي إنقاذ الرومي من تأثيرات ابن عربي، وربط إسهامات الرومي مع جهد الإمام

(9) عن ترجمته المفصلة راجع: مولانا أظاف حسين حالي، حيات جاويد، ط: أنجمن ترقی اردو، دہلی 1939.

(10) للتفصيل راجع الباحث: إسهام علماء شبه القارة الهندية في كتابة السيرة النبوية: شبلي النعماني نموذجاً. بحث قدم في المؤتمر الدولي الأول لقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، والذي انعقد يومي السبت والأحد 28-29 ذي الحجة 1431هـ/4-5 ديسمبر (كانون الأول) عام 2010، الجزء الأول، ص331-376.

الغزالي، ذلك من أجل تخليص الفكر الصوفي الإسلامي من التأثيرات اليونانية التي أصبحت أكثر عوامل الخطورة للفكر الصوفي الإسلامي بسبب الاتصال المباشر بالجوانب الهادئة الموجودة في الفكر الهندوسي والبوذي. ومن المعلوم أن التصوف في الهند إبان تلك الفترة أصبح ألعوبة في الخانقاوات والربط، وصار من الوسائل الفعالة للهروب والانسحاب من الساحة الاجتماعية والدينية وتحمل مسؤولياتهما كما ينبغي. وقد تبين لشبلي فداحة الضرر الذي قد لحق بالفعل بروح مثوي جلال الدين الرومي. وقد ساندته مولانا أشرف علي التهانوي (المتوفى 1362هـ/1943) ⁽¹¹⁾ في تحقيق أهدافه المرجوة، والذي سبق أن نشر شرح المثوي باللغة الأردية في ستة مجلدات كبار ⁽¹²⁾.

قد يكون هذا من ضمن الأسباب التي دفعته إلى تدوين سيرة مولانا الرومي، ولكن يجب علينا ألا يغيب عن أذهاننا الفكرة بأنه قد سبق وأن شبلي دون كتابه «علم الكلام»، و«الكلام»، و«الغزالي»، وتناول فيه بإسهاب القضايا الفلسفية والكلامية. وفي كتابه «الغزالي» حاول دراسة سيرة الأخير بموجب رؤية فلسفية وكلامية، وكان يعلم جيداً أن هنالك عشرات من المؤلفات التي درست مولانا الرومي وسيرته من منظور صوفي، على الرغم من وجود المضامين الكلامية والفلسفية في مثوياته. وقد عبر عن ذلك في ديباجة كتابه «سوانح مولانا الرومي»، فقال: «هذا هو الكتاب الرابع في سلسلة علم الكلام، وقد طبع قبله كتب: «علم الكلام»، و«الكلام»، و«الغزالي». ومن المعلوم أن العالم يعرف مولانا الرومي لتضلعه من التصوف والزهد، ومن هنا فعل الناس سوف يتعجبون من أن يتم إدخاله في زمرة المتكلمين، ودراسة أفكاره وأعماله

(11) «الشيخ الصوفي والفقير: أشرف علي بن عبدالحق الحنفي التهانوي الواعظ المعروف بالفضل والأمر. ولد بهانه في شمال الهند، وأخذ العلوم الإسلامية من كبار العلماء والصوفية، ثم سافر إلى الحجاز فجع وزار وأخذ الطريقة عن الشيخ إمداد الله التهانوي المهاجر إلى مكة. وصعبه زماناً ثم رجع إلى الهند وتفرغ للدرس والتدريس والوعظ في مدرسة جامع العلوم بكانبور مع اشتغاله بالأذكار والأشغال. وقد ترك هذه المدرسة فيما بعد وحج مرة أخرى، وبعد عودته من الحرمين الشريفين فتح الخانقاه في بلده، وصار مرجعاً في التربية والإرشاد وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، كان الناس يشدون رحالهم إليه لإصلاح النفوس، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين وإرشاد الطالبين. وقد بلغ عدد مجالس وعظه التي دونت في الرسائل والمفوضات أربعمئة مجلس. وله مصنفات كثيرة ما بين صغير وكبير ومجلدات ضخمة، من أهمها: «أنوار الوجود في أطوار الشهود»، و«التجلي العظيم في أحسن تقويم»، و«بيان القرآن» في الترجمة والتفسير في ثلاثين جزءاً، و«التكشف عن مهمات التصوف»، و«تربية السالك ونتيجة الهالك»... الخ. كان كثير المحفوظ، حسن الاستشهاد بالأبيات الشعرية، كثير الإنشاد لأشعار المثوي مولانا الرومي في المواعظ والمجالس في محالها، شديد العناية كثير الحسبة على أداء الحقوق إلى أصحابها وإصلاح المعاملات مع الناس...». راجع: عبدالحق الحسني، الإعلام، ج3، ص1187-1189.

(12) Afzal Iqbal, Op. cit., p. 87.

من هذه الناحية، ولكن حقيقة علم الكلام عندنا أن يضيء على عقائد الإسلام وحقائقه ومعارفه بشرح وبيان تسري به في النفوس، وتستقر في العقول والأذهان، وقد قام الرومي بأداء هذه الفريضة في منهج رائع وبكل دقة وشمولية، ومن المستحيل أن نجد أحداً يضاهاه الرومي في ذلك، ومن هنا فإنني أرى أننا سوف نظل نلتمه لو لم ندرجه في صفوف المتكلمين المبتكرين الكبار⁽¹³⁾.

وقد عبر عن استغرابه في مكان آخر من موقف قراء أعمال الرومي، فيقول: «وعلى الرغم من أن مثوياته أحرزت قصب السبق، ولها حضور وتداول قوي بين الناس، ومع ذلك تعد عند الناس بأنها كتاب في مجال التصوف والتزكية والسلوك فحسب، ولم يفكر أحد في أنها ليست مجموعة فريدة في مجال التصوف فقط، إنما هي مصنف من مجموعات رائعة من علم الكلام وعقائد الإسلام... وعلى الرغم من أنه قد كتب مئات المؤلفات والدراسات، وذلك منذ زمن الإمام الرازي في مجال علم الكلام، ويوجد في حوزتنا مجموعة كبيرة من هذه المؤلفات ونحن نطلع عليها ونستفيد منها، فإنني أعتقد أنه من الإنصاف القول: إن مسائل عقائد الإسلام التي قام الرومي بإحاطتها وشرحها وبيانها بطريقة فريدة، قلما نجد لها نظيراً في كتب علم الكلام الأخرى، والتي في الواقع تقل قيمتها أمام مثوياته»⁽¹⁴⁾.

يبدو للباحث أن بعد ما قرأ أعمال الغزالي وتمكن من استخراج المضامين الكلامية، ودون كتابه عن الغزالي بواسطة هذه المواد، طرحت عليه الفكرة نفسها فقرأ مثوي الرومي ووجد فيه المسائل الكلامية، ومن هنا تجشم عناء الكتابة واستخراج المواد المعنية من المثنوي والكتب الفارسية الأخرى، لتدوين ترجمة مولانا ونشاطاته الفكرية. ووفق غاية التوفيق فيما أراد بدراسة المسائل الكلامية والفلسفية عند الرومي وفي أعماله الشعرية.

(13) للتفصيل راجع: شبلي النعماني، سوانح مولانا روم، ط3: معارف باريس أعظم كره 2003، ديباجة.

(14) راجع: شبلي النعماني، المرجع السابق نفسه، ص8

قسم الباحث كتابه إلى قسمين، خصص القسم الأول لكتابة ترجمة مولانا الشاملة⁽¹⁵⁾، أما القسم الثاني فتناول فيه مؤلفات مولانا الفكرية، وخصصه لدراسة الموضوعات الكلامية والفلسفية التي استخرجها من المثنوي، والتي صارت فيما بعد من المواد الدسمة للعلماء الآخرين، لا سيما في النصف الثاني من القرن العشرين وصاعداً، والتي تتعلق بأسماء الله، وصفاته، والنبوة، وحقيقة الوحي، ومشاهدة الملائكة، وحقيقة النبوة، والمعجزة، والروح، والمعاد، والجبر والقدر، والقضاء والقدر، والتوحيد، والموضوعات الخاصة بوحدة الوجود والتزكية والسلوك، ومقامات السلوك والفناء، والعبادات، والصلاة، والصيام، والحج، والمقارنة بين الفلسفة والعلوم... إلخ⁽¹⁶⁾.

اعتمد شبلي النعماني في إعداد سوانح مولانا الرومي على ثلاثة مصادر مهمة، هي: رسالة فريدون بن أحمد سبه سالار، الذي وصفه شبلي بأنه كان مريداً خاصاً للرومي والمقرب لديه، وقد ظل وقتاً طويلاً في صحبته وفي معيته، والمصدر الثاني: مناقب العارفين للأفلاكي؛ أما المصدر الثالث فهو أشعار مولانا، لا سيما ما وردت في المثنوي المعنوي؛ حيث إنه اعتبره من أهم المصادر وأخصها لفهم الفكر الرومي⁽¹⁷⁾.

ويمكن اعتبار العلامة إقبال من أكثر الشخصيات الهندية في القرن العشرين التي تأثرت بالفكر الرومي. إذ تمثل أشعار العلامة المدرسة الرومية والفكرية بأكملها، حيث إن للمثنوي حضوراً قوياً في جميع أعمال إقبال، لا سيما في مثنوي «أسرار خودي»، و«جاويد نامه» والتي تبرز لنا مدى التأثير لمولانا الرومي وأعماله الشعرية في أعمال إقبال الشعرية. تجدر الإشارة هنا إلى أن إقبال على الرغم من أنه كان يحب الموسيقى والتصوف، ولكنه ليست لديه فكرة عامة أو خاصة عن المثنوي حتى بدأ يدرس في لندن عام 1323هـ/1905م، وسجل رسالته للدكتوراه تحت عنوان (The Development of Metaphysics in Persia) أي «تطور علم الميتافيزيقا»

(15) راجع: شبلي النعماني، سوانح مولانا رومي، ص1-45

(16) شبلي النعماني، المرجع السابق نفسه، ص46-195؛ ثمة دراسة مستفيضة عن كتاب سوانح مولانا روم قام بها مولانا ضياء الدين إصلاح، تحت عنوان: «شخصية مولانا الرومي في نظرة مولانا شبلي النعماني»، مقال أردي نشر تبعاً في مجلة معارف الأردنية، عدد أكتوبر (تشرين الأول)، عام 2007، ص225-270؛ عدد نوفمبر (تشرين الثاني) عام 2007، ص325-353.

(17) راجع: شبلي النعماني، سوانح مولانا رومي، ديباجة.

في فارس». ولكن حتى ذلك الحين لم يفهم تمام الفهم الآثار المترتبة من وحدة الوجود. وخلال فترة إقامته في جامعة كامبريدج، توجه بنشاطاته إلى دراسة الأفكار الصوفية الكبار مثل الشيخ أحمد السرهندي (المتوفى 1034هـ/1624م) ومكتوباته، ومثنوي مولانا الرومي والذي بدأ يفهمه في وقت لاحق، وعرف حق المعرفة عن أهمية الرومي في التصوف والفلسفة الإسلامية. وفي الواقع، لم يتأثر إقبال بالشخصيات الصوفية الأخرى قدر ما تأثر بالرومي الذي في الحقيقة حرر أفكار إقبال ورؤيته، وبعد قراءة المثنوي لأول مرة في إنجلترا، لازمه إقبال طوال عمره حتى الموت، وتمكن من استيعاب معانيه استيعاباً كاملاً⁽¹⁸⁾.

لقد نشر إقبال مثنوي أسرار خودي، أي الأسرار والرموز، عام 1334هـ/1915م. ويعد هذا الكتاب - إلى حد بعيد - من الشروحات المهمة لأفكار الرومي بين الأعمال التي ظهرت في شبه القارة الهندية في النصف الثاني من القرن العشرين⁽¹⁹⁾. وضع إقبال أول شعر كافتتاحية في ديوان «أسرار خودي» من قصة الرومي حول بحثه عن الإنسان الكامل، فيقول: «رأيت أمس شيخاً يتجول في المدينة بالمصباح يقول: إنني مللت من معايشة الأنعام والدواب، وأبحث عن إنسان، أريد أسد الله ورستم بن زال، فقلنا له إنه لا يوجد مثل هذا الإنسان، وقد بحثنا عنه زمناً طويلاً، فقال لنا: هذا المحال هو منيتي وطموحي»⁽²⁰⁾.

عن قضية النضال للحرية من العبودية والاستعمار، أشار إقبال في أحد مثنوياته إلى الظروف التي كانت الهند تمر بها بسبب الاضطرابات والصراعات الداخلية والاستعمار البريطاني، ويسلط من خلاله الضوء على الحقيقة بأن الحياة معناها الحقيقي هو النضال والسعي من أجل الحرية، والخروج من الظلم والعبودية.

(18) Afzal Iqbal, Op. cit., p. 89

(19) Afzal Iqbal, Op. cit., pp. 89-90.

(20) راجع: النص الفارسي في ديوان «أسرار خودي»، فارسي متن مع ترجمة إنجليزية رينولد آين نيكلسون، ط: لاهور 1915، وترجم الشيخ الندوي هذه العبارة الفارسية: «رأيت البارحة شيخاً يدور حول المدينة وقد حمل مشعلًا، كأنه يبحث عن شيء! فقلت: يا سيدي! تبحث عن ماذا؟ قال: قد مللت معايشة السباع والدواب وضقت بها ذرعًا، وخرجت أبحث عن إنسان عملاق وأسد مغوار، لقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالي والأقزام الذين أجدهم حولي، فقلت له: إن الذي تبحث عنه ليس يسير المنال، وقد بحثت عنه طويلًا فلم أجده، فقال: إنني مغرم بالبحث عن لا يوجد بسهولة، ولا يعثر عليه في الطرقات». راجع: أبي الحسن الندوي، مولانا جلال الدين الرومي، ط: 2: المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، 1394هـ/1974م، ص 63.

وفي هذا السعي وذلك النضال جعل إقبال الرومي سيده ودليله، وأثنى عليه في الأبيات التالية فيقول: «تصنع الكيمياء من حفنة من تراب، وتقبل أعتاب رجل مثالي، وتضئ شمعة مثل جلال الدين الرومي، وأحرق روم بنار تبريز». وقد أكد إقبال في مقدمة أسرار خودي، وعلى وجه التحديد، بأن الشخص الذي أيقظه وساعده على نضجه الفكري، ومكنه من الوصول إلى هذه المكانة الرفيعة للكشف عن الذات، ليس إلا الرومي وهو مدين له. ثم يقارن إقبال نفسه وبكل تواضع مع الموجة التي تجد ملجأً آمناً في المحيط، ثم يشبه نفسه بتلك الموجة، وجعل الرومي ذلك المحيط الذي يلجأ إليه معتبراً إياه المكان المأمون⁽²¹⁾.

ثم يقول ويعترف صراحة بأن الذي أضرم بنار شعلته قلبي الساكن هو الرومي، وهو الذي قدم لي بلسم الشفاء الذي ساعدني على تسكين القلب والعقل، والذي حققته بعد مدة من وجود القلق والهيّاج في قلبي وعقلي. ويعتبره إقبال الدليل الذي يأخذه بحزم وعزم إلى قمم الإيمان والوحي الذاتي، والتي يجد ههنا الحلول لجميع المشاكل المعقدة والصعبة على الفور، بواسطة القناعة بالإيمان الداخلي الراسخ. ثم يقول إن الرومي يدعو إلى ذلك وهو يستجيب لدعوته قلباً وقالباً. ويعتبره إقبال الشمس الباذغة التي يستدفئ إقبال بحرارتها، وفي حالة من النشوة الفريدة. وحسب قوله هو الذي جعله يكتشف ذاته ونفسه في شخصية جديدة، وفتح له آفاقاً غير مسبوقه من الفكر والوجدان والنشاط والحيوية⁽²²⁾.

يرى بعض الباحثين أن إقبال قضى فترة من الزمن ينازعه عاملان: عامل العقل، وعامل القلب؛ وقام صراع بين عقله المتمرد وعلمه المتجدد، وقلبه الحار الفاضل بالإيمان، وفي هذا الصراع الفكري والاضطراب النفسي، ساعده المثوي مساعدة غالية، ودافع عن عاطفته وقلبه دفاعاً مجيداً، وحل به كثيراً من ألغاز الحياة. ولم يزل محمد إقبال يعرف له الجميل، ويحفظ له هذا الفضل، ويذكره في كثير من أبياته، ويعزو إليه كثيراً من الحقائق والحكم. يقول في بيت يخاطب فيه أحد المأخوذين بسحر الغرب: «قد سحر عقلك سحر الإفرنج، فليس لك دواء إلا لوعة قلب

(21) Afzal Iqbal, Op. cit., p. 92.

(22) Afzal Iqbal, Op. cit., p. 92-93.

الرومي، وحرارة إيمانه، لقد استنار بصري بنوره، ووسع صدري بحرًا من العلوم» ويقول في بيت أردي: «صحبت پير روم سي مجه په هوا يه راز فاش-لاکه حکيم سر بجيب ايک کليم سر بکف أي لقد أفدت من صحبة شيخ الروم أن كليماً واحداً-يشير إلى سيدنا موسى-هامته على راحتته، يغلب ألف حکيم قد احتوا رؤوسهم للتفكير»... وكان محمد إقبال يرجو أن يجدد علمه ورسالته في القرن العشرين، ويخلفه في مهمته العلمية والروحية؛ وكان يشعر بأن الشيخ الرومي لا يزال يفوقه في الجانب الروحي، وقد أشار إلى ذلك إشارة لطيفة.

يقول في قصيدة أردية: «نه اتها بهر کوئي رومي عجم كي لاله زارون سي-وهي آب وگل ایران وهي تبريز هي ساقی أي لم ينهض رومي آخر من ربوع العجم، مع أن أرض إيران لا تزال على طبيعتها، ولا تزال تبريز كما كانت؛ إلا أن إقبال ليس قانطاً من تربته، فإذا سقيت بالدموع أنبتت نباتاً حسناً، وأت بحاصل كبير»⁽²³⁾.

وقد أعلن إقبال في بيت آخر، قائلاً⁽²⁴⁾: إنه تعلم سر الحياة والموت للفرد والأقوام من جلال الدين الرومي. مرشد رومي حکيم پاک زاد-سر مرگ وزندگی پر ما گشاد.

ومن المعلوم أنه يوجد في أشعار الرومي نزعة صوفية خاصة ولها صدى خاص لعذاب الروح في مجال الحب الحقيقي. ولا يمكن العثور على قوة الانفجار المباشر للتعبير والحماس الشديد غير أشعار الرومي، ومن هنا يعترف إقبال بسهولة بهذه القوة الخلاقة، ويدعو القارئ للمشاركة في تجربته الخاصة في اكتشاف قوة الرومي وجماله وسحره في البيت التالي:

(بیا که من زخم پیر روم آوردم-می سخن که جوانتر زباده عنبی ست)

أي تفضلوا معي فإنني جلبت لكم نبيذاً مصنوعاً من الكلمات من برميل

(23) بتصرف كامل من كتاب روائع إقبال لمولانا وشيخنا أبي الحسن الندوي، ص 39-40.

(24) Afzal Iqbal, Op. cit., p. 95.

الرومي والتي ستجدها فعالة وأقوى أكثر من نبيذ العنب⁽²⁵⁾. في الواقع مثل هذه النماذج موجودة في جميع دواوينه الشعرية، لا سيما في پیام مشرق، وجاويد نامه وغيرها، ونجده دائماً يعتبر الرومي المرشد الحقيقي له، يستخدم مصطلح «پير مرشد» أو «پير رومي»... إلخ.

يشير إقبال فيها إلى معظم التعبيرات المتوهجة والمتوقدة التي لا تدع أي مجال للشك حول طبيعة علاقته مع روح جلال الدين الرومي، حيث يناديه سيّداً ودليلاً للصراف المستقيم. ويقدم تحيته وتقديره لبصيرته ورؤيته وأفكاره العالية والعظيمة، ويعتبره نموذجاً حياً للمحبة والتشبع القلبي، ويتبعه مثل التلميذ المخلص مع القناعة التامة بأن الرومي سيوصله إلى آفاق لم تتيسر إلا لعدد قليل من البشر. يقول:

(از كلامش جان من بيتاب شد-درتم هر ذره چون سيماب شد)

أي لقد خلق خطابه الذعر والرعب في نفسي، وكل ذرة من كياني أصبحت مضطربة مثل الزئبق. ويقول في بيت آخر، (رومي آن عشق ومحبت را دليل-تشنه كامان را كلامش سلسبيل)، أي الرومي هو الحجة للحب والإخلاص، ويعمل خطابه الروحي كينبوع سلسبيل في الجنة للعطشى. ثم يقول في بيت آخر: پير رومي هر زمان اندر حضور أي المرشد الرومي له دائماً حضور وهو موجود في كل لحظة في الوجود الداخلي...، ويقول في بيت آخر: پير رومي آن سراپا جذب ودرد، أي المرشد الرومي دائماً في حالة الاستغراق في الله وفي حالة المعاناة الجسدية والنفسية المستمرة. ثم يقول پير روم أن مرشد آل نظر، أي المرشد الرومي دليل لمن له بصر وبصيرة، وفي بيت آخر يقول: (پير رومي آن امام راستان-آشناي هر مقام راستان)، أي المرشد الرومي زعيم الصالحين والمتقين، والذي يعرف حق المعرفة عن كل محطة في الطريق إلى الحقيقة. ثم يقول: (رومي آن آيئنه حسن أدب)، أي إن الرومي مرآة للجمال والأدب⁽²⁶⁾. وفي بيت آخر يقول عن المصدر الذي أخذ منه العلم والمعرفة والحكمة، (نكته از پير روم آموختم-خويش را در حرف او واسوختم)، أي لقد تعلمت الحكمة

(25) Ibid, p. 96.

(26) Ibid, pp. 101-103

والمعرفة من المرشد الرومي، وأضرمت نفسي بنار كلماته الملتهبة⁽²⁷⁾.

لا شك أن هذه التحيات وتلك التقديرات لدليل صدق لإقبال وإخلاصه ومحبته حيال الرومي، فهي ليست مجرد عبارات المكونة عن الكلمات والتعبيرات المتدفقة من جانب شاعر عادي، أو مجرد تعبير عن الكرم المبالغ، إنما هو الاعتراف الكامل من طرفه وبكل تواضع بالعظمة الممنوحة لجلال الدين الرومي في مجال العلم والمعرفة والحكمة. حقيقة، إن إقبال هو الوحيد الذي كان يستطيع أن يدرك هذه العظمة. وعلى الرغم من أنه نفسه بكل المقاييس شاعر مرهف الحس والمفكر العظيم، فإن هذه المظاهر للتعبير عن الحب والإخلاص حيال الرومي في أشعاره وأبياته تبرز التقارب والترابط بين الروحين المتشابهين.

ويمكن القول، وذلك طبعاً بعد الدراسة العميقة لمثنويات إقبال وحتى القصائد والغزليات: إن الرومي وأفكاره لها وجود قوي وحيوي في الفكر الإقبالي، فقد فتح إقبال فضاء جديداً للدراسة عن الرومي وأفكاره الصوفية في الهند الحديثة. ويوجد أعمال أخرى كتبها علماء الهند وأدباؤها عن الرومي أو المثوي، ولكن مستواها أقل وأضعف من أعمال إقبال أو حتى شبلي النعماني. ومنها على سبيل المثال قيام مولانا عبدالماجد الدرايا آبادي (المتوفى 1398هـ/1977) بتحرير محادثات الرومي من كتابه «فيه ما فيه» في كتاب مستقل باللغة الفارسية⁽²⁸⁾. وقد قام الباحث خليفة عبدالحكيم بإعداد رسالته للدكتوراه في بداية النصف الثاني من القرن العشرين تحت عنوان «علم الميتافيزيقا عند جلال الدين الرومي»⁽²⁹⁾. وفي الواقع، يعتبر إقبال من أكثر الشخصيات الهندية في القرن العشرين التي تأثرت بالرومي وأفكاره، وأثرت في الشخصيات في الجيل التالي في شبه القارة الهندية في حياته وبعد مماته.

ولعل من المناسب أن نذكر تأثيره المباشر في شيخنا أبي الحسن علي الحسيني الندوي (المتوفى 1420هـ/2000) الذي التقى بإقبال في لاهور، وقضى بعض الوقت

(27) Ibid, p. 115.

(28) نشره عام 1928م بعنوان: «فيه ما فيه ملفوظات محمد جلال الدين الرومي وتبصرة». لترجمته راجع: محمد شمس عالم، مولانا عبدالماجد دريا آبادي كي علمي وأدبي خدمات، رسالة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مدراس، الهند عام 2013.

(29) Khalifa Abdul Hakim, The metaphysics of Rumi: A critical and historical sketch, India 1977.

في صحبته. وكان قد اطلع على بعض أعمال إقبال الشعرية قبل هذا اللقاء، ولكن زاد إعجابه به وتأثر بعقليته وتفكيره وقلبه من أشعاره بعد هذه المقابلة.

أثنى الشيخ الندوي في كتابه «روائع إقبال» ثناءً حاراً على إقبال وأعماله الشعرية، لا سيما الأشعار والمثنويات المتعلقة بشخصية الرومي، وقرر أن ينقل المعاني الفكرية من أعمال إقبال الشعرية في كتاب مستقل، يكون دراسة مستفيضة عن الفكر الإسلامي الأصيل عند إقبال⁽³⁰⁾. ولا شك أن كتاب شبلي النعماني ومثنويات إقبال عن الرومي كانت نبزاً للشيخ الندوي لتدوين السيرة عن الرومي وأفكاره، والتي ركز فيها الندوي على البيان للجوانب الأساسية والمهمة، ألا وهي جهود الرومي في الإبداع والتجديد في مجال علم الكلام والفلسفة⁽³¹⁾. ويعدّه الندوي من أكبر الدعاة إلى الحب والتسامح واحترام الإنسان والإنسانية، ومن رجال الدعوة والفكر في الإسلام في كل زمان ومكان⁽³²⁾.

عند النظر في أعمال الشيخ الندوي ودراستها، يبدو للباحث أنه تأثر بالرومي بطرق عديدة، وذلك بشكل مباشر وغير مباشر، فهو شخصياً كان ينتمي إلى الطريقة النقشبندية والچشتية، وكان لديه نزعة قوية إلى الاطلاع على أعمال الصوفية الكبار ومنهم -لا شك- الرومي، ولا ريب أنه اطلع على المثنوي الرومي ودرسه، حتى ولو فكر في ذلك بعد الاطلاع على أعمال كل من محمد إقبال والشيخ شبلي النعماني اللذين ظل الشيخ الندوي معجباً بهما طوال عمره.

وقد ذكرت في مقدمة البحث أنه ليس الأدباء والشعراء المسلمون فقط هم من تأثروا بالرومي وأعماله الشعرية؛ إنما ثمة شعراء وأدباء ومصلحون هندوس أيضاً تأثروا بالرومي، وتأثيراته جليلة وواضحة في أعمالهم الأدبية ونشاطاتهم الإصلاحية.

(30) في ديباجة كتاب روائع إقبال كتب الشيخ الندوي قائلاً: نشأت في عصر وفي بيئة بلغ فيها شعر محمد إقبال قمة مجده وشهرته... إن أسباب الإعجاب بشعر محمد إقبال كثيرة... وإن أعظم ما حملني على الإعجاب بشعره هو: «الطموح، والحب، والإيمان، قد تجلى هذا المزيج الجميل في شعره وفي رسالته أعظم مما تجلى في شعر معاصر، ورأيت نفسي قد طبعت على الطموح والحب والإيمان، وهي تندفع اندفاعاً قوياً إلى كل أدب ورسالة يبعثان الطموح، وسمو النفس، وبعد النظر والحرص على سيادة الإسلام...» راجع: أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، ط: دار الفكر بدمشق، 1379هـ/1960م، ص 1-4، وما بعدها.

(31) درس الندوي إسهامات الرومي الفكرية لابتكار علم كلام جديد من خلال المثنوي المغنوي، راجع: ص 16-47.

(32) راجع: أبو الحسن الندوي، جلال الدين الرومي، ص 48-63.

ومنهم والد الشاعر البنغالي الكبير **رابندر نات طاغور**، والذي لازم المثوي المعنوي طوال حياته، ومن المستحيل أن ابنه النابه لم يطلع على المثوي بواسطته، لا سيما أن طاغور أخذ العلم والمعرفة عن أبيه ولازمه مدة من الزمان⁽³³⁾، ولا نرى تأثيرات الرومي في أعمال طاغور الشعرية فحسب، بل في سيرته المتواضعة أيضاً، حيث كان له شأن كبير في التوكل والاستغناء والترك والتجريد، والتواضع، والحياة البسيطة... إلخ⁽³⁴⁾.

وعند النظر في أعمال كل من الرومي ورابندر نات طاغور، يجد المرء أن الموسيقى والرقص يحتلان مكانة كبيرة فيهما، وربما هذه هي الميزة الفريدة من نوعها التي أحدثت تغييراً مهماً في مساهماتهما في عالم التصوف، هندوسية كانت أم إسلامية أم معاً⁽³⁵⁾. ومن المعلوم أن للموسيقى والسماع ورمزيتهما مكانة عظيمة في الطريقة المولوية، وكان لهما حضور قوي في أشعار الرومي؛ ذلك لأن الرومي يعتبرهما وسيلة للخوض في التجارب الروحية، وقد انتشرت الموسيقى المولوية، ورقص السماع، وتأثر بهما رابندر نات طاغور حيث أشعاره ومثوياته يوجد فيها طقوس الموسيقى والسماع والرقص، حيث مثل الرومي كل الشعر الذي قرضه طاغور مؤتلفاً بعنصر الموسيقى الإلهية⁽³⁶⁾. ولا يمكن للمرء أن ينكر جمال أشعار طاغور التقليدي، ومثل الرومي يوجد موسيقى تقليدية يحمل اسمه «رابندر نات سنغيت» أي

(33) «وعرف طاغور في فجر طفولته بهنية الحياة وهناءتها، واستمد من الجو الذي عاش فيه، كل ما كانت نفسه المتطلعة تتشوق إليه، فقد شدا أفراد أسرته كلهم فنوناً مختلفة، بين رسم وغناء وشعر وأدب، وعب طاغور من هذه البنابيع الثرية، مستصفاً أطيبها وأعدبها وألصقها بروحه». راجع: مقدمة لمرجم كتاب رابندر نات طاغور، روائع في المسرح والشعر، ترجمة عربية د. بديع حقي، ط2: دار المدى، سوريا، 2010، ص6 وما بعدها.

(34) Krishna Kripalani, Rabindranath Tagore: A Biography. Vishwa Bharati, Calcutta. 1980; Tagore, Rabindranath; Stewart, T. K.; Twichell, C., Rabindranath Tagore: Lover of God, Lannan Literary Selections, Copper Canyon Press 2003; Tagore, Rabindranath, Collected Poems and Plays of Rabindranath Tagore, Macmillan Publishing 1952; Tagore, Rabindranath, Some Songs and Poems from Rabindranath Tagore, East-West Publications 1984; Tagore, Rabindranath; Alam, F. Chakravarty, R., The Essential Tagore, Harvard University Press 2011.

(35) يقول طاغور في كتاب «السادها»: «إن الموسيقى هي أنقى أشكال الفن، وهي أقرب تعبير عن الجمال، وإننا نشعر أن إفصاح اللانهاية في الأشكال المحدودة من الخلق، هو الموسيقى نفسها تتساب صامتة ظاهرة. إن السماء الداجية التي تحصي النجوم دون وني، شبيهة بطفل مشدوه بكلماته الأولى المبهمة لا يني يردد لفظة واحدة ويصغي إليها بفرحة لا تتضب». راجع: رابندر نات، روائع في المسرح والشعر، ص23.

(36) S. K. Paul. The Complete Poems of Rabindranath Tagore's Gitanjanli: Texts and Critical Evaluation. Sarup & Sons, New Delhi 2006.

موسيقى طاغور⁽³⁷⁾.

ومن المصادفة العجيبة أن طاغور أيضاً وضع أول بيت شعري في مثنوياته «كَيْت انجلي» بالناي، وإن يوجد الفرق في معني بيته الشعري، يقول طاغور: «هذا الناي الصغير من القصب، لقد حملته معك إلى التلال والسهول ونفخت في ثقبه أناشيد لا تبلى جدتها، بلمسة خالدة من يديك، فإن قلبي الصغير قد فرع حدوده، جذلان، وهفا في مناجاة غائمة، أما هباتك التي لا تنتهي، فليس لدي سوى راحتي الضئيلتين للإمساك بها، بيد أن العمر يمضي، وأنت تهرق لي، وسيبقى دوماً مكان ينتظر أن يمتلئ»⁽³⁸⁾.

كما أن إقبال دعا الشعب الهندي إلى الاستقلال والحرية، نجد طاغور كذلك يدعوهم إلى تحقيق ذلك الهدف، طالباً منهم أن ينزعوا الخوف من نفوسهم، حاملاً لهم مشعل الحرية الموعودة، يقول في بيت شعري: إيه يا وطني، أطلب إليك الخلاص من الخوف، هذا الشبح الشيطاني الذي يرتدي أحلامك الممسوخة، الخلاص من وقر العصور، العصور التي تحني رأسك وتقضم ظهرك. وتصم أذنيك عن نداء المستقبل الباهر»⁽³⁹⁾.

وقد تأثر طاغور بالرمزية، وكذلك مثل الرومي كثيراً ما يعتمد إلى القصص والأساطير فيروبيها شعراً يرمز بها إلى شيء، ويخلص منها إلى فكرة مستجدة رائعة⁽⁴⁰⁾. وبناء على ذلك يقول بعض الباحثين: الحق، إن شعر طاغور ليس شعراً يتعدى فيه اللفظ والنغم المعنى، بل هو رسالة فكرية إنسانية تماثل، في نبلها وصفائها، رسالة المفكرين المصلحين العظام. وقد اتسق له أن يجنح رسالته هذه بالشعر، فوهب لها دماً جديداً، وأمدّها بنسج الحياة، وبث فيها رعشة وحركة وانطلاقاً، فلا تسع

(37) يقول طاغور في أحد أبياته: «إن نور موسيقاك يضيء الدنيا، ولهات موسيقاك المفعم بالحياة، يتسرب من سماء إلى سماء، إن الموجة المقدسة المثالة من موسيقاك تمبر الحواجز الحجرية ثم تهدر ماضية مسرعة، إن قلبي يتشوق إلى الاتصال بفنائك... أه أيها المعلم، لقد جعلت قلبي أسيراً في شباك موسيقاك التي لا نهاية لها». راجع: رابندر نات، روائع في المسرح والشعر، ص 32.

(38) راجع: رابندر نات، روائع في المسرح والشعر، الشعر الأول، ص 31.

(39) المرجع السابق، ص 15.

(40) نفسه، ص 19.

وأنت تقرأ شعره إلى الفكرة التي تضمنها، ولكنها هي التي تأتي وتسلس لك وتدخل أغوار نفسك، فكأن شعره الطلي ثمرة شهية، تريد أنت منها الظاهر استطابة ولذة، وتريد هي لك في الواقع فائدة ومنفعة وعبرة»⁽⁴¹⁾.

كما أن أشعار الرومي ومثوياته لها مذاق خاص بلغتها الأصلية أي الفارسية، فكذلك الوضع مع أشعار طاغور باللغة البنغالية، وهناك بعض الباحثين كتبوا أن تراجم أشعار طاغور لكتابه غيتانجالي تفقد جمالها وسحرها وقيمتها المعنوية كثيراً عندما يتم نقلها إلى لغة أخرى⁽⁴²⁾.

والسؤال الذي يطرح هنا هو: ما الذي يجعل أشعار كل من الرومي وطاقور مشتركة في مضامينها وموضوعاتها، على الرغم من وجود الفوارق الدينية والعقائدية، وجاء كل واحد منهما من خلفيات متباينة، وعاش كل واحد منهما في أزمان مختلفة؟ والجواب يكمن في قصائدهم وأشعارهم الجميلة ذات الرموز والتشخيص والتجسيم، والتي تعبر عن حبهما للإنسانية والمحبة الإلهية، وتسبر الأغوار لتحقيق الذات والنفس والحقيقة والوحدة.

تحمل أشعارهما رسالتهما الإنسانية السامية القائمة على المحبة والأمل، وصار كل واحد منهما للأبد منارة الشرق والغرب كليهما، منارة تبذل نور المحبة وتعيد الإنسان المشرّد في متهات المادية والإلحاد، إلى الإنسان الذي افترسه الحروب والطفيان، وأحلامه الحلوة وأملهما الكبير تعيد في النفوس الإيمان والسلام والثقة بمستقبل أفضل.

وبالإضافة إلى هذه الشخصيات المهمة، قام الكثير من الباحثين بالكتابة عن ترجمة الرومي، وأعدوا بحوثاً قيمة عن أشعاره، لا سيما المثوي المعنوي، باللغة الأردنية واللغات الهندية الأخرى. ومنهم على سبيل المثال: غلام دستگیر رشيد الذي أعد دراسة شاملة عن المثوي بعنوان «شمس معنوي» ونشرها في مجلة معارف الأردنية

(41) نفسه، ص20.

(42) Harini Jayaraman and Priya M. G., «Ruminations of Mysticism in Rabindranath Tagore and Rumi», M S Academic, vol. 4, 2011, pp. 42-49.

تباعاً. وركز في دراسته على بيان أهمية مولانا ومكانته بين الشعراء الصوفية، وعلى أهمية غزلياته وقصائده ومثنوياته... إلخ⁽⁴³⁾.

ثم نشر مقالة مطولة بعنوان «ديوان شمس تبريز اور مولانا روم» تبعاً في مجلة معارف نفسها في أعداد، (3/37)، مارس (آذار) 1936، ص 199-214؛ (4/37)، أبريل (نيسان) عام 1936، ص 261-276؛ (5/37)، مايو (أيار) عام 1936، ص 353-364؛ (6/37)، يونيو (حزيران) عام 1936، ص 415-432؛ (1/38)، يوليو (تموز) عام 1936، ص 27-42؛ (2/38)، أغسطس (آب) عام 1936، ص 119-131؛ (3/38)، سبتمبر (أيلول) عام 1936م، ص 180-198؛ (4/38)، أكتوبر (تشرين الأول) عام 1936، ص 259-272؛ (5/38)، نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1936، ص 339-351؛ (6/38)، ديسمبر (كانون الأول) عام 1936، ص 412-425.

ومنهم مولانا محمد عبدالسلام خان الذي كتب مقالاً بعنوان «مولانا روم اور ان كي مثنوي معنوي» وتناول في القسم الأول ترجمة وجيزة لمولانا، وخصص القسم الثاني للدراسة عن المثنوي، وذكر فيه بواعث تأليف المثنوي، ومصادر تصنيفه، وموضوعات المثنوي، ولفته، وأسلوبه، ومكانته بين الأدبيات الفارسية الأخرى، واستخرج المضامين الخاصة بالتصوف والتزكية والسلوك ودرسها⁽⁴⁴⁾.

وكتب البروفيسور مقاله القيم بعنوان «مولانا روم اور تعيمر انسانيت» أي «جهود مولانا في بناء الإنسانية والأمم»، وكتب في مستهل البحث: «إن المثنوي كنز نادر للعلم والمعرفة، والعبرة، والنصائح، والتفكر، والمواساة، والأخلاقيات، والرموز، والدرس للإنسانية أجمع، ولا يقدر هذا الكنز بأي ثمن كان. وظل أهل العلم والمعرفة يستفيدون من هذه الوراثة العلمية والروحانية في كل عصر ومصر، ويتخذون منه قبس النور للتربية الذاتية ولإصلاح المجتمع الإنساني. وقد أثرت أشعاره العرفانية والروحانية في جميع الأدباء والشعراء والصوفية والمصلحين في الغرب والشرق على

(43) راجع: مجلة معارف الأردنية، (1/37) يناير (كانون الثاني) عام 1936، ص 13-24؛ عدد (2/37)، فبراير (شباط) عام 1936، ص 101-116.

(44) راجع: مجلة معارف الأردنية، عدد مارس (آذار) عام 1991، ص 165-191.

السواء، وحينما تظهر أفكاره الروحانية والعرفانية في أشعاره وقصائده البليغة، وتبرز الحرارة الروحانية الداخلية على مضراب الشعر بواسطة العزف على أوتار الحياة، تستهدف سهامها قلب الإنسان وبشكل مباشر. لقد مضى على فن شعر الرومي ثمانية قرون، ولكن ظلت نضارته ولمعانه وقوته باقية وبحيوية كاملة، إنما زادت أهميته ومعنوياته في هذا العصر، والسبب في وجوده وديمومته المحورية والحيوية أن مولانا الرومي جعل محور شعرية ومقاصده بناء الإنسانية وتشكيلها، وتكلم في مسائل الإنسان المادية والاجتماعية والروحانية والدينية، وبحث عن شرارة الروح والحياة في كومة التراب، وناقش النمو والارتقاء الإنساني والأخلاقي والروحاني من خلال الصور والأشكال الرمزية وبواسطة نظام المحاكاة والتخييل، ومن هنا صارت أشعاره منهل العلوم والمعرفة، وأصبحت نصائحه وإرشاداته نماذج رائعة ومن نوع فريد»⁽⁴⁵⁾.

في نهاية المطاف نستطيع القول، وذلك من خلال هذه الرحلة الهندية الطويلة: إن العلماء والصوفية والأدباء والشعراء اهتموا -وما يزالون- بمولانا جلال الدين الرومي وأعماله الشعرية، لا سيما المثنوي عبر العصور، وذلك في حياة الرومي وبعد مماته، واهتمامهم الكبير بالمثنوي خلف آثاراً خالدة في الشعر والأدب والمثنوي، وتمكنوا من نقل مضامين المثنوي ومعانيها وأفكارها إلى لغاتهم المحلية كالسنديّة والأردية والهندية والبنغالية.

وقد ساعدت أعمال الرومي الشعرية الأدباء والشعراء في جميع العصور الإسلامية والحديثة على صوغ الأشعار البليغة الإنسانية الرمزية، وربما كان من الصعب أن يظهر قدرتهم الفائقة على نظم الحكايات والنصائح والقصص الرمزية ذات البعد العلمي والعرفاني دون الاعتماد على النموذج الرائع الحي، ألا وهو المثنوي الذي شغل بالهم طوال تاريخهم وفي جميع أنحاء شبه القارة الهندية.

(45) محمد، سعود عالم قاسمي، مولانا روم اور تعمير انسانيت، مجلة معارف الأردنية، عدد (1/188)، يوليو (تموز) عام 2011،

تفيد الكتب التاريخية والأدبية والشعرية بأن الاهتمام بالرومي لم يقتصر على فئة معينة من العلماء والأدباء والشعراء؛ بل نرى أن الصوفية من جميع السلاسل الصوفية من الجشتية، والقادرية، والنقشبندية والشطارية وغيرها، تبنا أفكار مولانا الرومي الدينية والإنسانية، وغنوا أشعاره وقصائده في محافظهم الشعرية وحفلات السماع والرقص. وبجانب العلماء والأدباء والصوفية المسلمين، أولى العلماء والأدباء والمصلحون العناية بمولانا وأفكاره وأشعاره، وتبناها في أعمالهم الأدبية والشعرية.

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، نشأت جامعات ومراكز بحثية عديدة في الهند، والتي اهتمت بترجمة أعمال الرومي لا سيما المثنوي، وإن بدأ المستشرقون في الهند بترجمة أعمال الرومي إلى الإنجليزية، قام العلماء والأدباء المسلمون والهندوس على السواء بنقلها إلى اللغات المحلية. ولعل أحسن مثال لذلك الدكتور هرندر نات هيندر الذي أعد رسالته بعنوان: «جلال الدين الرومي وتصوفه» في جامعة كلكتا عام 1960⁽⁴⁶⁾. وتفيد قائمة المصادر والمراجع لهذه الدراسة الأكاديمية أن المصادر والمراجع الخاصة بالرومي وأعماله كانت متوافرة بجميع اللغات الهندية، بالإضافة إلى الفارسية والإنجليزية، وهذا يدل على إسهام علماء الهند في نقل تراث مولانا إلى اللغات الهندية. وتظل المراكز البحثية والجامعات تقوم بنشر الأعمال الخاصة بالرومي وأعماله الشعرية، قامت جامعة بهون أخيراً بنشر كتاب بعنوان: (The Legend of Rûmî, the Great Mystic & the Religion of Love by Dr. K. Husain) عام 2005⁽⁴⁷⁾.

في الوقت الحالي هنالك محاولات جادة من جانب بعض المؤسسات العلمية والثقافية، لإخراج المسرحيات المبنية على حكايات المثنوي لعامة الناس، وهو جهد طيب من أجل ترويج أفكار مولانا الإنسانية بين الشعب الهندي. وفي الحقيقة رأت بعض المؤسسات الثقافية أن الطريقة الأكثر إبداعاً من أجل حضور مولانا وأفكاره،

(46) Dr. H. C. Paul , Jalal al-Din Rumi And His Tasawwuf , Preface, Calcutta, 1985.

(47) The Legend of Rumi, The Great Mystic & The Religion of Love by Dr. K. Husain, Bhartiya Vidya Bhawan, Mumbai. pp.5-8.

وترويجه في الهند من خلال إخراج المسرحيات عن جلال الدين الرومي والحكايات المذكورة في مثنوياته. ومن أشهر المسرحيات التي كتبها الكاتب أمرت كنت بعنوان «يكشف الرومي الشمس»، وتم عرضها في شهر يناير (كانون الثاني) عام 2005. وتم عرض هذه المسرحية أيضاً في لندن بمناسبة مرور (800) عام على ولادته. وتقدم هذه المسرحية النظرة الثاقبة في طبيعة العلاقات بين شمس تبريزي ومولانا الرومي، محاولة إعطاء التصور للروابط البشرية المنسجمة بالعلاقات الإنسانية في إطار الحب والمعرفة. وقد حاولت هذه المسرحية تمثيل الحياة في العصور الإسلامية في قونية العثمانية، وذلك بواسطة الأغاني الأردية والفارسية والموسيقى الهندية، التي جعلتها مسلية جداً لجمهور الهنود⁽⁴⁸⁾.

كذلك هنالك محاولة في تقديم الرومي كنموذج إنساني في سياق الثقافة الهندية، وذلك لأن هناك طلباً على ذلك من جانب الجمهور الذين يريدون قراءة شمس ومولانا كمريد ومرشد ولكن في سياق الكلام الهندي والأردني. وقد قامت الهند ومؤسساتها الحكومية بإطلاق حملة شاملة من النشاطات العلمية والفنية والأدبية تتعلق بحياة الرومي التاريخية، وذلك بمناسبة مرور ثمانمائة عام على ولادته. وبهذه المناسبة أعلن الدكتور كرن سنيغ، رئيس مؤسسة الرومي في دهلي بإطلاق مجلة خاصة عن الرومي ونشاطاته العلمية والفكرية بعنوان (Hu: the Sufi Way) في 18 أكتوبر (تشرين الأول) عام 2007 في مقر رئيس الوزراء لولاية دهلي⁽⁴⁹⁾. وتسهم مؤسسة الرومي الواقعة في دهلي في نشر أفكار الرومي الإنسانية بواسطة نشر الكتب والمجلات باللغة الإنجليزية والهندية واللغات المحلية الأخرى، بالإضافة إلى إقامة الاحتفالات الخاصة بالرقص والسماع والمسرحيات عن الرومي وعن الصوفية الآخرين. ولا شك أن مثل هذه المساهمات تساعد الشعب الهندي على التقارب والتفاهم، وعلى الاقتراب من التراث الرومي خاصة، ومن التراث الصوفي لجميع الطرق الصوفية في الهند بصورة عامة.

(48) Rumi Unveil The Sun by Amrit Kent; Angus & Grapher, New Delhi, pp.36, 49, 96.

(49) Hu: The Sufi Way, A Journal of the Rûmî Foundation of India, Vol. 1, No. 2 October 2007, preface, New Delhi.